مطالب الكُفَّار في القرآن الكريم ـ دراسة موضوعية ـ

أ.د.طه سبتي إبراهيم
جامعة بغداد/ مركز إحياء التّراث العلمي العربي
Taha.sebyi@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

تاريخ النشر :٢٠٢٤/٦/٣٠
تاريخ الاستلام: ٢٠٢٣/١١/٢٦ تاريخ القبول: ٢٠٢٤/٢/٢٧
DOI: 10.54721/jrashc.1.1.1147

الملخص :
سطَّر القرآن الكريم المحاورات التي جرت بين أنبياء الله تعالى(عليهم السَّلام) وبين أقوامهم، والقارئ للقرآن الكريم يلحظ أنَّ المعاندين والمعرضين قد طلبوا مطالب كثيرة، ومَنْ يقرأ الآيات القرآنية التي ذكرت هذه المطالب ويريد أن يتدبَّرها يجد نفسه أمام أسئلة واستفسارات كثيرة؛ لعلَّ أبرزها: سبب هذه المطالب دون غيرها؟ وهل أنَّ مقصد قائليها كان الرَّغبة في الوصول إلى الحقّ؟ أم كان الغرض منها الانكار والاستبعاد والسُّخرية؟ أم أمورًا أخرى؟ وماذا كان الردُّ القرآني عليهم؟ وما هي عاقبة الَّذين طلبوا هذه المطالب؟ لذا جاء هذا البحث ليجيب عن هذه الأسئلة.
ولمّا كانت هذه المطالب كثيرة لا يسعها بحث فقد قصرت البحث على بعض المطالب؛ وهي: استعجال العذاب ، وامطار حجارة من السَّماء، واسقاط السَّماء كسفًا.
وقد قُسِّم البحث على وفق الآتي:
التمهيد: التعريف بالمطالب وأنواعها.
المبحث الأول: نزول العذاب واستعجاله.
المبحث الثاني امطار حجارة من السَّماء.
المبحث الثالث: اسقاط السَّماء كسفًا.
الخاتمة .

الكلمات الافتتاحية: المطالب، الاستعجال ، الكِسَف.

Demands of Disbelievers in the Holy Quran

Prof.Dr. Taha Sibti Ibrahim Affiliation:
University of Baghdad / Center for the Revival of Arab Scientific Heritage

Abstract:

The Quran outlines the dialogues that took place between the prophets of Allah (peace be upon them) and their people. The reader of the Quran notices that those who opposed and resisted made numerous demands. Anyone who reads the Quranic verses that mention these demands and wants to reflect upon them, finds themselves faced with many questions and inquiries. Some of the most prominent include: What is the reason behind these demands as opposed to others? Was the intention of those expressing them a

desire to reach the truth? Or was the purpose to deny, reject, and mock? Or were there other motives? What was the Quranic response to them? And what is the consequence for those who requested these demands. Therefore, this research aims to answer these questions and others.

"Since these demands were numerous and couldn't all be discussed, the discussion was limited to some of them, which are: hastening the punishment, raining stones from the sky, and dropping the sky as a canopy."

The research is divided as follows:

Introduction: Defining demands and their types.

Chapter One: The descent of punishment and its hastening.

Chapter Two: Rain of stones from the sky.

Chapter Three: dropping the sky as a canopy.

Conclusion

Keywords: Demands, hastening, falling as canopy.

المقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد..

في القرآن الكريم آيات كثيرة دوَّنت مطالب المعاندين والمُعْرِضين، وذكرت أقوالهم وحوارهم مع الأنبياء والمرسلين(عليهم السَّلام)، وكذلك حواراتهم فيما بينهم، ولا شكَّ في أنَّ ذلك من العدل والانصاف، فالله تعالى لم يُخفِ علينا أقوالهم ومطالبهم، بل ذكرها في كتابه العزيز وبيَّنها أحسن بيان.

ويأتي هذا البحث ليبرِّز بعض هذه المطالب[1] التي نادى بها أصحابها من الكفَّار النَّاكبين عن طريق الهدى والإيمان والرَّشاد، ويبيِّن أنواعها، وأسباب هذه المطالب ، والدَّوافع الحقيقية منها، وكيف كان الجواب القرآني عنها.

حوى البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، ذكرت في التَّمهيد تعريف المطالب وأنواعها.

أمَّا المباحث الثلاثة؛ فهي:

المبحث الأول: نزول العذاب واستعجاله، وفيه مطلبان؛ المطلب الأول: آيات طلب العذاب واستعجاله، والمطلب الثاني: سبب طلب الكفَّار استعجال العذاب، وقد ذكرت عاقبة هؤلاء في المطلب الثالث من المبحث الذي بعده(المبحث الثاني)؛ لأنَّهم طلبوا أمرين؛ اسقاط حجارة من السَّماء، أو الاتيان بعذابٍ أليم، فكلا الطلبين قائلها واحد، وهم زعماء قريش.

المبحث الثاني: امطار حجارة من السَّماء، وفيه ثلاثة مطالب؛ هي: المطلب الأول: القائلون بهذه المقولة، والمطلب الثاني: سبب طلب نزول حجارة من السَّماء، المطلب الثالث: عاقبة الذين استعجلوا العذاب.

المبحث الثالث: اسقاط السَّماء كسفًا، وجاء بثلاثة مطالب أيضًا؛ هي: المطلب الأول: الآيتان اللَّتان ذكرتا هذا المطلب ومعناهما، والمطلب الثاني: سبب هذا الطَّلب وغايته، أمَّا المطلب الثَّالث فكان بعنوان: عاقبة الَّذين طلبوا الكسف من السَّماء.

وكانت الخاتمة بعد المبحث الثَّالث، إذ ذكرت نتائج البحث

التَّمهيد

التَّعريف بالمطالب وأنواعها

أولًا: التعريف بالمطالب

١-المطالب لغةً:

المطالب جمع (مَطْلَب)، وهو مصدر ميمي للفعل الثُّلاثي(طَلَبَ)؛ ومعناه: ابتغاء الشيئ وإرادته؛ قال ابن فارس(ت ٣٩٥هـ):((الطَّاءُ وَاللَّامُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى ابْتِغَاءِ الشَّيْءِ. يُقَالُ: طَلَبْتُ الشَّيْءَ أَطْلُبُهُ طَلَبًا. وَهَذَا مَطْلَبِي، وَهَذِهِ طَلِبَتِي. وَأَطْلَبْتُ فُلَانًا بِمَا ابْتَغَاهُ..))[٢].

٢-المطالب اصطلاحًا:

الطَّلَبُ:((الفحص عن وجود الشَّيء، عينًا كان أو معنًى))[٣].

وقيَّده الكفوي(ت١٠٩٤هـ) بأنَّه يكون باللِّسان، أمَّا التَّمنِّي فإنَّه شيئ يهجس في القلب[٤].

وعرَّفه التَّهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ) فقال:((محبَّة حصول الشيء على وجه يقتضي السَّعي في تحصيله لولا مانع من الاستحالة والبعد كما في التَّمنِّي))[٥].

وتعريف التَّهانوي هذا ينطبق على الطَّلب الحقيقي،أمَّا الطَّلب الذي يُراد منه تعجيز المخاطب واستبعاد المطلوب فلا يلزم منه محبّةٌ ولا سعيٌ في تحصيله، وهو ما سنراه في هذا البحث الَّذي يُعنى ببيان مطالب الكفَّار المعاندين الَّذين يريدون من مطالبهم الاستهزاء واستبعاد ما يرومون...

والمراد بـ (مطالب الكفَّار في القرآن الكريم): الأشياء التي أرادها الكفَّار المعاندون المُعرِضون عن دعوة الأنبياء(عليهم السَّلام) المذكورة في القرآن الكريم؛ سواء أكانت هذه الأشياء مطلوبة من الله تعالى أم من الأنبياء (عليهم السَّلام).

فمثال مطالبهم من الله تعالى ما جاء في قوله تعالى حكاية عن كفَّار قريش ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٦].

ومثال مطالبهم من الأنبياء(عليهم السَّلام) قوله تعالى في قصة أصحاب الأيكة ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٧]

ثانيًا: أنواع مطالب الكفّار

تُقسم المطالب على أقسام متعدّدة تبعًا لنوع الطَّلب، أو المخاطَب، أو زمنه.

فإن قسَّمناها على وفق نوعها فإنَّها تقسَّم على تقسيمات كثيرة، والقرآن الكريم سجَّل مطالبهم؛ فمنهم من يريد نزول العذب وتعجيله، ومنهم من يريد أن يَنزل مع الرَّسول (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) مَلَكٌ ، أو يُلْقى عليه كنزٌ ، أو تكون له جنَّةٌ من نخيل وعنب وأن تنفجر الأنهار خلالها تفجيرًا...، أمَّا تقسيمها تبعًا للمُخاطَب؛ فقد يطلب الكفَّار من الله تعالى ، وقد يطلبون من أنبيائهم، وقد يقول قائل: إنَّ مردَّ المطالب كلّها إلى الله تعالى، فكيف ينسب المطلب إلى الأنبياء؟ قلت: صحيح أنَّ المطالب جميعًا عائدة إلى الله تعالى؛ لكنّني راعيت التقيد بالنُّصوص القرآنية، فالقرآن الكريم يذكر في بعض الآيات مطلبًا للكفَّار من الله تعالى، كما في قوله عزَّ وجلَّ حكاية عنهم ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٨]، وأحيانًا يذكر القرآن الكريم طلبهم من الأنبياء(عليهم السَّلام)؛ فالأمم السَّابقة طلبوا من أنبيائهم مطالب ؛ منها الاتيان بما أنذر به الأنبياء(عليهم السَّلام) ، وهو نزول العذاب؛ فقوم نوح(عليه السَّلام) طلبوا ذلك فقالوا لنوحٍ (عليه السَّلام) ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٩]،وكذا ما أراده قوم عاد من نبيّهم هود(عليه السَّلام) ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١٠]، وقوم ثمود طلبوا من نبيّهم صالح(عليه السَّلام) أن يأتيهم بالعذاب الذي حذَّرهم منه صالح(عليه السَّلام) إنْ هم عقروا النَّاقة ، قال تعالى ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[١١]، وما أراده أصحاب الأيكة من نبيّ الله شعيب(عليه السَّلام)﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١٢]، وهو قريب من مطلب قريش الذين قال الله تعالى عنهم ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾[١٣].

وإن نظرنا إلى المطالب من جهة الزَّمن فإنَّها تقسَّم على صنفين؛ مطالب في الدُّنيا ومطالب في الآخرة، والمطالب في الدُّنيا يمكن تقسيمها أيضًا وفق التَّرتيب الزمني لبعثة الأنبياء والمرسلين(عليهم السَّلام).

وسأذكر في هذا البحث المطالب المتعلِّقة بإرادة نزول العذاب الأليم واستعجاله، ومنها انزال حجارة من السَّماء، واسقاط قطع من السَّماء أو السَّماء كلِّها، وسأرجئ بقية المطالب ببحوث أخرى - إن شاء الله تعالى-.

المبحث الأول
نزول العذاب واستعجاله
المطلب الأول: آيات طلب العذاب واستعجاله

إنَّ طلب استعجال العذاب أعمُّ من طلب نزوله،؛ فكلُّ من يستعجل العذاب يطلبه لا العكس، وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين بوضوح أنَّ الكفَّار يطلبون نزول العذاب عليهم، بل يريدون أن يُعَجِّل الله تعالى انزاله عليهم، وهذه الآيات هي:

١- ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[١٤]

٢-﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١٥]

٣- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[١٦]

٤- ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾[١٧]

٥- ﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[١٨]

٦- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾[١٩]

٧ - ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾[٢٠]

٨- ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾[٢١]

٩- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢٢].

١٠- ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٢٣].

١١- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[٢٤].

وقد رتَّبت الآيات على حسب النّزول[٢٥].

والذي ينظر في هذه الآيات يلحظها أنَّها مكّيّة كلُّها، سوى الآيتين في سورة الأنفال والحجّ؛ فقيل: إنَّ الآيات(٣٠-٣٧) من سورة الأنفال مكيّة[٢٦]،والمفسّرون يختلفون في سورة الحجّ، أهي مكيَّة أم مدنيَّة؟ ولعلَّ الرَّاجح ما ذهب إليه ابن عطيَّة(ت٥٤٢هـ) أنَّها مختلطة، وذكر أنَّ هذا قول الجمهور، فقال:((وقال الجمهور مختلطة، فيها مكيٌّ ومدني، وهذا هو الأصح- والله أعلم- لأنّ الآيات تقتضي ذلك))[٢٧]، وعدَّ الزركشي آية الأنفال، وهي قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ﴾ مِمَّا : ((يُشْبِهُ تَنْزِيلَ مَكَّةَ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ))[٢٨].

وعلى هذا يتَّضح أنَّ الآيات نزل أكثرها(إن لم أقل كلَّها) بمكَّة، ولعلَّ سبب عدم وجود مطالب للكفَّار(كنزول العذاب عليهم واستعجاله) في المدينة اختلاف المجتمع، فالمجتمع في مكَّة كان أكثره لا يؤمن بنبوَّة الرَّسول(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، ويُنكر الحساب واليوم الآخر والجنّة والنَّار..، فهم مُعرِضون جاحدون معاندون، أمَّا المجتمع المدني فأكثر النَّاس فيه صنفان؛ إمَّا مؤمن وإمَّا منافق، أمَّا المعرضون فإن وُجدوا فهم قلَّة، وأمَّا أهل الكتاب اللَّذين كانوا يسكنون المدينة فالكلام لا يخصُّهم؛ لأنَّ المقصود المجتمع المسلم، كما إنَّهم يؤمنون باليوم الآخر والحساب والسَّاعة والجنَّة والنَّار... .

وقد يسأل سائل عن نوع العذاب الذي استعجله هؤلاء المعاندون الجاحدون، والجواب يظهر في المبحثين الثاني والثالث.

المطلب الثاني: سبب طلب الكفَّار استعجال العذاب

إنَّ طلب الإنسان الخير لنفسه أمرٌ طبيعي لا غرابة فيه، بل هو أمر محبوب مرغوب فيه، لكن ما يثير الدَّهشة والغرابة طلب الشَّر والعذاب، والمعاندون المنكرون نبوَّة الأنبياء(عليهم السَّلام) طلبوا أن يَنزِل عليهم عذابٌ من الله تعالى، بل طلبوا استعجاله، وسبب ذلك أنَّهم بستبعدون نزول العذاب ، والذي يستبعد شيئًا لا يبالي له ولا يعبأ به، لذا فهم يطلبون الاستعجال بالعذاب، ففي ظنِّهم واعتقادهم أنَّ ذلك لن يحصل أبدًا.

ويرى الإمام ابن عطية الأندلسي(ت٤٢٥هـ) أنَّ الذي حمل بعض كفَّار قريش امطار حجارة من السَّماء أو الاتيان بعذاب أليم إنَّما هو الحسد، فقال:((والذي حملهم على هذه المقالة هو الحسد، وذلك أنَّهم استبعدوا أن يكرم الله عليهم محمَّدًا (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) هذه الكرامة، وعميت بصائرهم عن الهدى، وصمَّموا على أنَّ هذا ليس بحقٍّ..))[٢٩].

وقد يكون السبب وراء طلب العذاب واستعجاله العناد[٣٠] والاستكبار، فهم يعلمون أنَّ الإسلام هو الدِّينُ الحقُّ المنزَّل من الله تعالى لكنَّهم يعاندون ظلمًا وعلُوًّا وجحودًا، قال تعالى﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾[٣١] ، وقال عزَّ وجلَّ ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٣٢] .

المبحث الثاني: امطارحجارة من السَّمآء

جاء هذا المطلب في قوله تعالى حكاية عن كفَّار قريش﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾[٣٣].

المطلب الأول: القائلون بهذه المقولة

ذكر العلماء والمفسِّرون روايات متعدِّدة عمَّن قال هذه المقولة، وذلك في معرض حديثهم عن سبب نزول قوله تعالى﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾. وقد جاءت هذه الآية بعد مطلبهم مباشرة، وهذه الروايات هي:

١-روى الإمام البخاري[٣٤]، ومسلم[٣٥] عن أنس(رضي الله عنه):((قال أبو جهل: اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السَّمآء أو ائتنا بعذابٍ أليمٍ)).

٢- روى كثيرٌ من المفسِّرين[٣٦] أنَّ هذا القول:((اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ..)) هو قول النَّضر بن حارث.

٣- عن قتادة: قال:((قال ذلك سَفَهَةُ هذه الأمَّة وجهلتها، فعاد الله بعائدته على سفهة هذه الأمَّة وجهلتها))[٣٧].

ولا تعارض بين هذه الروايات،إذ قد يكون القائل أبا جهل،أو النَّضر بن حارث، أو سَفَهَة هذه الأمَّة وجهلتها، وقد كانت افتراءات كفَّار قريش واتِّهاماتهم النَّبيّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) ومقالتهم عن القرآن الكريم منتشرة بينهم، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السَّبب، وبذلك نخلص أنَّ قائل هذه المقولة هم زعماء قريش- والله أعلم- .

المطلب الثاني: سبب طلب نزول حجارة من السَّماء

قد يبدو طلب نزول حجارة من السَّماء أمرًا غريبًا؛ لأنَّه أمرٌ خاصٌّ، وطلب العذاب أعمُّ، لكنَّنا إذا علمنا أنَّ قريشًا كان عندهم علمٌ بأنَّ نزول حجارة من السَّماء من العذاب الذي يرسله الله تعالى على المستحقِّين له؛ فعام الفيل ليس بعيدًا عنهم، إذ أهلك الله عزَّ وجلَّ فيه إبرهة الحبشي وجيشه عندما أرسل عليهم طيرًا أبابيل رمتهم بحجارة من سجِّيل؛ قال تعالى﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ. أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ. وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ. تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ. فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولٖ﴾[٣٨] .

وكذلك ما كانوا يرونه عند مرورهم في تجارتهم على قوم لوط(عليه السَّلام)﴿وَإِنَّ لُوطٗا لَّمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِذۡ نَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ إِلَّا عَجُوزٗا فِي ٱلۡغَٰبِرِينَ ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ وَبِٱلَّيۡلِۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[٣٩].

فيكون معنى الآية:(("اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك"، أي: ما جاء به محمَّد "فأمطر علينا حجارة من السَّماء"، كما أمطرتها على قوم لوط "أو ائتنا بعذاب أليم"، أي: ببعض ما عذَّبت به الأمم قبلنا))[٤٠]، وقد نصَّ الإمام الزَّمخشريّ(ت٥٣٨هـ) على علَّة التعبير بـ (من السَّماء) والامطار لا يكون إلا من السَّماء، فقال:((فإن قلت: ما فائدة قوله مِنَ السَّماءِ، والأمطار لا تكون إلا منها؟ قلت:

كأنَّه يريد أن يقال: فأمطر علينا السِّجِّيل وهي الحجارة المسوَّمة للعذاب، فوضع حِجارَةً مِنَ السَّماءِ موضع السِّجِّيل، كما تقول: صبّ عليه مسرودة من حديد، تريد درعًا بِعَذابٍ أَلِيمٍ، أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم، يعني أنَّ امطار السِّجِّيل بعض العذاب الأليم، فعذِّبنا به أو بنوع آخر من أنواعه))[٤١].

المطلب الثالث: عاقبة الَّذين استعجلوا العذاب

قبل بيان عاقبة مَن استعجلوا العذاب(انزال حجارة من السَّماء أو العذاب الأليم) يجدر بيان كيف كان الرَّدُّ القرآني عن هذا المطلب.

أخبرنا الله تعالى بعد طلب الكفَّار امطار حجارة من السَّماء أو الاتيان بعذاب أليم أنَّه تعالى لا يعذِّبهم والرَّسول(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) فيهم، ولا يعذِّبهم وهم يستغفرون، قال تعالى﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[٤٢]، ومعنى﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾:((وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ))[٤٣]، واللَّه عزّ وجلَّ لم يعذِّب أمَّة ونبيُّها بين أظهرها[٤٤]، فكرامة النبيّ(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) عند الله تعالى عظيمة ومنزلته كبيرة.

أمَّا قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾؛ فمختلف فيه على أقوال كثيرة؛ أشهرها:

١- إنَّ الله تعالى لا يعذِّب هؤلاء المشركين وهم يستغفرون، أي: لو استغفروا لا يعذِّبهم، لكنَّهم لم يكونوا يستغفرون، ورجَّح هذا المعنى الإمام الطبريّ[٤٥]- رحمه الله-.

٢- إنَّ الله تعالى لا يعذِّب المشركين وفي مكَّة مَن يستغفر من المسلمين، وهم المستَضعَفون الذين لم يهاجروا بعد خروج النبيّ(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) منها[٤٦].

٣-إنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يعذِّب هؤلاء المشركين وهم يطلبون الاستغفار؛ وذلك أنَّهم كانوا يقولون: يا ربّ غفرانك، وأمَّا قوله تعالى ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ..﴾[٤٧]، فذلك حاصل في الآخرة[٤٨].

٤- إنَّ الله تعالى لا يعذِّب المشركين وهم يُسْلِمُون، فيراد باستغفارهم في الآية هو اسلامهم[٤٩]، وهذا القول قريب من الأول.

٥- وَقِيل إنَّ معنى:((وَهُمْ يَسْتَغْفِرُون)) أَي:((فِي أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَسْتَغْفِرُ الله))[٥٠].

٦-وقيل:إنَّ الآية منسوخة بقوله تعالى في الآية بعدها ﴿وَمَا لَهُمۡ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمۡ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٥١]، غير أنَّ دعوى النَّسخ مردودة ؛ لأنَّ الأخبار لا يدخلها النَّسخُ ؛ قال الإمام الطَّبريّ:(("وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون" خبرٌ، والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخٌ، وإنَّما يكون النَّسخُ للأمر والنَّهي))[٥٢]

ولعلَّ أرجح هذه الأقوال القول الأول؛ لأنَّ الآيات في السِّياق تتحدَّث عن المشركين، فهم الَّذين طلبوا امطار حجارة من السَّماء أو الاتيان بعذاب أليم، وهم الَّذين يصدُّون عن المسجد الحرام، قال الإمام الطبريّ:((وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك

بالصَّواب قولُ مَن قال: تأويله: "وما كان الله ليعذِّبهم وأنت فيهم"، يا محمَّد، وبين أظهرهم مقيم، حتَّى أُخرجك من بين أظهرهم، لأنّي لا أُهلك قرية وفيها نبيُّها، " وما كان الله معذِّبهم وهم يستغفرون"، من ذنوبهم وكفرهم، ولكنَّهم لا يستغفرون من ذلك، بل هم مصرُّون عليه، فهم للعذاب مستحِقُّون، كما يقال: "ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إليّ"، يراد بذلك: لا أحسن إليك، إذا أسأت إليَّ، ولو أسأت إليَّ لم أحسن إليك، ولكن أحسن إليك لأنَّك لا تسيء إليَّ. وكذلك ذلك، ثمَّ قيل: "ومالهم ألّا يعذِّبهم الله وهم يصدُّون عن المسجد الحرام"، بمعنى: وما شأنهم، وما يمنعهم أن يعذِّبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به، وهم يصدُّون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام؟، وإنَّما قلنا: "هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصَّواب"، لأنَّ القوم - أعني مشركي مكَّة -كانوا استعجلوا العذاب، فقالوا:((اللهمَّ إن كان ما جاء به محمد هو الحقَّ، فأمطر علينا حجارة من السَّماء أو ائتنا بعذاب أليم)) فقال الله لنبيِّه: "ما كنت لأعذِّبهم وأنت فيهم، وما كنت لأعذِّبهم لو استغفروا))[٥٣] .

أمَّا مصير هؤلاء الَّذين طلبوا العذاب فقد كان القتل يوم بدر؛ إذ روي:((أنَّ النبيَّ (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ ثلاثة من قريش: طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِيٍّ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ وَالنَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ))[٥٤]، والله تعالى قد توَّعدهم فقال﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٥٥] .

المبحث الثالث: اسقاط السَّماء كسفًا

المطلب الأول: الآيتان اللتان ذكرتا هذا المطلب ومعناهما

الآية الأولى: وقد جاءت في معرض كلام أصحاب الأيكة مع شعيب(عليه السَّلام)، إذ قالوا﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[٥٦] .

الآية الثانية: وقد ذكرها القرآن الكريم من مطالب قريش، فقال عزَّ وجلَّ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾[٥٧].

وقد جعلت الآية من سورة الشُّعراء أولًا لأنَّ سورة الشُّعراء نزلت قبل سورة الإسراء[٥٨].

وأصحاب الأيكة هم أوَّل القائين بهذه المقالة، فهم قبل قريش.

المطلب الثاني: سبب هذا الطلب وغايته

مَنْ يقرأ هاتين الآيتين يجد نفسه أمام السبب الحقيقي في هذا الطلب دون غيره.

فالآية الأولى:﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٥٩]، هي مقالة أصحاب الأيكة، وقد طلبوا ذلك من نبيِّ الله شعيب (عليه السَّلام) بعد أن أمرهم

شعيب (عليه السَّلام) أن يُوفوا الكيل وأن لا يكونوا من المُخسِرين...، قال تعالى﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ أَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[٦٠] فكان ردُّهم عليه أن كذَّبوه واتَّهموه بأنَّه من المُسَحَّرين، وأنَّه من الكاذبين ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[٦١]، ثمَّ طلبوا أن يُسقط عليهم كسفًا من السَّماء إن كان صادقًا ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[٦٢]، فأجابهم شعيب(عليه السَّلام): ((بإسناد العلم إلى الله تعالى لأنَّه العالم بما يستحقُّونه من العذاب ومقداره))[٦٣].

ومعنى(كسفًا من السَّماء):((جانبًا من السَّماء، وقطعة منه، وقيل: أرادوا أنزل علينا العذاب، وهو مبالغة في التَّكذيب))[٦٤]

وقد يكون سبب اقتراحهم انزال الكسف من السَّماء أنَّ شعيبًا(عليه السَّلام) توعَّدهم بذلك؛ قال الطَّاهر بن عاشور(ت**١٣٩٣هـ**):((إِلَّا أَنَّ هَؤُلَاءِ عَيَّنُوا الْآيَةَ فَيُحْتَمَلُ أَنَّ تَعْيِينَهَا اقْتِرَاحٌ مِنْهُمْ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّ شُعَيْبًا أَنْذَرَهُمْ بِكِسَفٍ يَأْتِي فِيهِ عَذَابٌ. وَذَلِكَ هُوَ يَوْمُ الظُّلَّةِ الْمَذْكُورُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ[٦٥]))[٦٦]، والغاية من طلبهم هذا هو استبعاد العذاب وارادة تكذيب نبيّ الله شعيب(عليه السَّلام)؛جاء في التفسير الكبير:((وَهُمْ إِنَّمَا طَلَبُوا ذَلِكَ لِاسْتِبْعَادِهِمْ وُقُوعَهُ فَظَنُّوا أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَقَعْ ظَهَرَ كَذِبُهُ))[٦٧].

أمَّا الآية الثانية:﴿ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾[٦٨]، وهي من مطالب رؤساء قريش التي ذكرها القرآن الكريم في سورة الإسراء، إذ تبدأ من قوله تعالى حكاية عنهم ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾[٦٩].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآيات أنَّ زعماء قريش؛ عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأميَّة بن خلف، والعاص بن وائل، اجتمعوا بعد غروب الشَّمس عند ظهر الكعبة، فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمَّد فكلِّموه وخاصموه حتى تُعْذَروا فيه، فبعثوا إليه ، فجاءهم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) سريعًا، وهو يظنُّ أنَّه بدا لهم في أمره بَدَاء، وكان عليهم حريصًا، يحبّ رشدهم ويعزّ عليه عَنَتهم، حتَّى جلس إليهم، وبعد أن

عرضوا عليه كثيرًا من المغريات أجابهم رسول الله (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم): "ما بِي ما تَقُولُونَ، ما جِئتُكُمْ بِمَا جِئْتُكُم بِهِ أطلُبُ أمْوالَكُمْ، ولا الشَّرَفَ فِيكُمْ وَلا المُلْكَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ الله بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولا وَأَنزلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأَمْرِ الله حتَّى يَحْكُمَ الله بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"[٧٠].

فعندما يئسوا ورأوا منه الثَّبات على دعوته[٧١] انتقلوا إلى طلب هذه المطالب التي تبدأ بتفجير ينبوع من الأرض ....

والسَّبب الذي جعلهم يطلبون اسقاط السَّماء كسفًا هو قوله تعالى في الآية نفسها؛ وهو قوله﴿ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا﴾، وفي معنى(كما زعمت) أقوالٌ؛ هي[٧٢]:

- إنّه إشارة إلى قوله عزَّ وجلَّ ﴿إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ﴾[٧٣]، وقوله تعالى ﴿إِذَا السَّماءُ انْفَطَرَتْ﴾[٧٤].

- وقيل: كَمَا زَعَمْتَ يَا مُحَمَّدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ فَأَسْقِطِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا.

- أو يكون المعنى: كَمَا زَعَمْتَ أَنَّ رَبَّكَ إِنْ شَاءَ فَعَلَ.

-ويُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ فِي قَوْلِهِ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حاصِبًا..﴾[٧٥]، فَقِيلَ: اجْعَلِ السَّمَاءَ قِطَعًا مُتَفَرِّقَةً كَالْحَاصِبِ وَأَسْقِطْهَا عَلَيْنَا.

أمّا الغاية من هذا الطلب فهو تعجيز الرَّسول(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وإرادة الخروج من المناقشة والخصومة بمظهر يحفظ هيبتهم وكبريائهم، وكان جواب الرَّسول(صلَّى الله عليه وآله وسلَّم) أنَّه لا يملك ما طلبوه فهو بشر، لكنَّه رسول من الله تعالى﴿..قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[٧٦].

المطلب الثالث: عاقبة الَّذين طلبوا الكسف من السماء

أمَّا أصحاب الأيكة فبعد أن كذَّبوا رسالة الله تعالى أجابهم شعيب (عليه السَّلام) قائلًا: ﴿ قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [٧٧] أي:((مِنْ نُقْصَانِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَلَيْسَ الْعَذَابُ إِلَيَّ وما عليّ إلا الدَّعوة))[٧٨]، وهذه هي مهمة الأنبياء والرُّسل(عليهم السَّلام) النُّصح والإرشاد والبيان.

بعد ذلك جاءهم العذاب الذي طلبوه والأمر الذي استعجلوه؛ قال تعالى﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾[٧٩].

والمعنى[٨٠] : أنَّ الله عزَّ وجلَّ أقام الظُّلَّة وهي السَّحَابُ فوق رؤوسهم ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ نَارًا فماتوا جميعًا. وَقَدْ أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا اقْتَرَحُوا، لِأَنَّهُمْ إِنْ أَرَادُوا

بِالْكِسَفِ الْقِطْعَةَ مِنَ السَّحَابِ فَظَاهِرٌ، وَإِنْ أَرَادُوا بِهَا الْقِطْعَةَ مِنَ السَّمَاءِ، فَقَدْ نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنْ جِهَتِهَا.

ذكر الإمام الطَّبريّ:((قال عبد الله بن عبَّاس: بعث الله عليهم وَمدَةً[٨١] وحرًّا شديدًا، فأخذ بأنفاسهم، فدخلوا البيوت، فدخل عليهم أجواف البيوت، فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هرابًا إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة، فأظلتهم من الشمس، فوجدوا لها بردًا ولذَّةً، فنادى بعضهم بعضًا، حتَّى إذا اجتمعوا تحتها، أرسلها الله عليهم نارًا. قال عبد الله بن عباس: فذلك عذاب يوم الظُّلَّة))[٨٢].

فهؤلاء طلبوا أن يُسقِط الله تعالى عليهم قطعًا من السَّماء، فأتاهم الله عزّ وجلَّ بما استعجلوه وأرادوا وقوعه عليهم، وما ظلمهم الله تعالى ولكن كانوا هم الظَّالمين .

وأمَّا رؤساء قريش الذين طلبوا مطالب كثيرة؛ منها :أن تُسقط السَّماء عليهم كسفًا،فقد كان الرَّدُّ القرآني عن هذه المطالب أنَّ الله تعالى أمر نبيَّه (عليه السَّلام): ((أن يقول﴿ سُبْحانَ رَبِّي﴾ أي تنزيهًا له مِن الاتيان مع الملائكة قبيلًا، ومن أن يخاطبكم بكتاب كما أردتُّم، ومِن أن اقترح أنا عليه هذه الأشياء، وهل أنا إلَّا بشرٌ منكم، أرسلت إليكم بالشَّريعة، فإنَّما عليَّ التبليغ فقط))[٨٣] .

أمَّا ما يتعلَّق بعقوبتهم وجزائهم فلم تحدِّد الآيات عقوبة خاصَّة بهم ، لكنَّنا إذا نظرنا في الآيات التي جاءت بعد مطالبهم لوجدنا أنَّ الله تعالى صوَّر لنا حالهم يوم القيامة؛ قال تعالى﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّاۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا . ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [٨٤] ، فهذه مجموعة من العقوبات؛ هي:

- إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُضلهم فلا يجدون من دونه أولياء.
- إنَّ الله تعالى يحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًّا.
- ثمَّ يجعل مأواهم جهنَّم، كلَّما خبت زادهم سعيرًا.

الخاتمة

في نهاية البحث أسجل النتائج الآتية:

١- إنَّ المطالب التي صدرت عن الكفَّار المعرضين كانت كثيرة ومتنوعة، ولم تكن على نمط واحد.

٢- إنَّ أسباب هذه المطالب كثيرة؛ فقد يكون السبب استبعادهم نزول العذاب(إن كان الطلب نزول العذاب)، وقد يكون الانكار والسُّخرية، وقد يكون الباعث على ذلك الحسد.

٣- إنَّ من الغايات التي كان الكفَّار يرومونها من مطالبهم هي تعجيز الأنبياء والمرسلين(عليهم السَّلام) ظنًّا منهم أنَّ هذه الطريقة تنفع في بيان كذب الأنبياء والمرسلين(حاشاهم وعليهم السَّلام).

٤- إنَّ الله تعالى عاقب أصحاب مدين بعذاب من جنس ما طلبوا،إذ أرسل عليهم ظلَّةً عظيمة أحرقتهم جميعًا، وتوَّعد كفَّار قريش المطالبين بنزول العذاب بعقوبات كثيرة في الآخرة،أنَّه يحشرهم إلى جهنَّم على وجوههم عميًا وبكمًا وصمًّا.

Conclusion:

At the end of the research, I record the following results:

1. The demands made by the disbelievers were numerous and varied, not following a single pattern.
2. The reasons for these demands are many; it could be their disregard for the descent of punishment (if their demand was the descent of punishment), or it could be denial and mockery, or it could be driven by envy.
3. One of the goals that the disbelievers aimed for with their demands was to challenge the prophets and messengers (peace be upon them), thinking that this approach would be effective in proving the falsehood of the prophets and messengers (may Allah forbid, and peace be upon them).
4. Allah, the Almighty, punished the people of Medin with a punishment similar to what they requested, as He sent upon them a great calamity that burned them all, and He promised the disbelievers of Quraysh who demanded punishment with many punishments in the Afterlife, that He would gather them into Hellfire on their faces blind, deaf, and dumb.

الهوامش

(١) وسأكمل بقية المطالب في أبحاث قادمة – إن شاء الله تعالى- .
(٢) مقاييس اللغة: ٤١٧/٣.
(٣) التوقيف على مهمات التعاريف: ٢٢٧.
(٤) ينظر: الكليات:٤٦٨.
(٥) كشاف اصطلاحات الفنون:١٣٧٢/٢.
(٦) سورة الأنفال: الآية:٣٢.
(٧) سورة الشعراء: الآية:١٨٧.
(٨) سورة الأنفال: الآية:٣٢.
(٩) سورة هود: الآية:٣٢
(١٠) سورة الأعراف: الآية:٧١.
(١١) سورة الأعراف: الآية:٧٧.
(١٢) سورة الشعراء: الآية:١٨٧.
(١٣) سورة الإسراء: الآية:٩٢.
(١٤) سورة ص: الآية:١٦.
(١٥) سورة الأعراف: الآية:٧١.
(١٦) سورة الشعراء: الآية:٢٠٤.
(١٧) سورة يونس: الآية:٥٠.
(١٨) سورة هود: الآية:٣٢.
(١٩) سورة الصافات: الآية:١٧٦.

(٢٠) سورة الذاريات:الآية:٥٩.
(٢١) سورة المعارج: الآيتان:١-٢.
(٢٢) سورة العنكبوت: الآيتان:٥٣-٥٤.
(٢٣) سورة الأنفال: الآية:٣٢.
(٢٤) سورة الحجّ: الآية:٤٧.
(٢٥) ينظر: البرهان للزركشي:١٩٣/١-١٩٤.
(٢٦) ينظر: المحرر الوجيز:٣٢٣/٣، والجامع لأحكام القرآن:٣٦٠/٧.
(٢٧) المحرر الوجيز:١٠٥/١.
(٢٨) البرهان:١٩٦/١.
(٢٩)المحرر الوجيز:٥٢٠/٢.
(٣٠) ينظر: المصدر نفسه: ٥٢٠/٢.
(٣١) سورة الأنعام: الآية:٣٣.
(٣٢) سورة النَّمل:الآية:١٤.
(٣٣) سورة الأنفال: الآية:٣٢.
(٣٤) صحيح البخاري، كتاب: التفسير، باب:﴿وإذ قالوا اللهمَّ إن كان هذا هو الحقَّ من عندك...﴾، ١٧٠٤/٤، رقم:٤٣٧١.
(٣٥) صحيح مسلم،كتاب: صفة القيامة والجنَّة والنَّار، باب: في قوله تعالى﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ..﴾،٢١٥٤/٤، رقم:٢٧٩٦.
(٣٦) ينظر: تفسير مجاهد:٣٥٤،و تفسير مقاتل:١١٢/٢،وجامع البيان٦/١٣، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:١٦٩٠/٥.
(٣٧) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم:١٦٩٠/٥.
(٣٨) سورة الفيل
(٣٩) سورة الصافات: الآيات: ١٣٣- ١٣٨.
(٤٠) جامع البيان: ٥٠٧/١٣.
(٤١) الكشاف: ٢١٧/٢.
(٤٢) سورة الأنفال: الآية:٣٣.
(٤٣) معالم التنزيل:٢٨٩/٢.
(٤٤) ينظر: المحرر الوجيز:٥٢١/٢.
(٤٥) ينظر: جامع البيان:٥١٥/١٣.
(٤٦) ينظر: معالم التنزيل:٢٨٩/٢، و التفسير الكبير: ٤٨٠/١٥.
(٤٧) سورة الأنفال: من الآية: ٣٤.
(٤٨) ينظر: جامع البيان: ٥١١/١٣.
(٤٩) ينظر: المحرر الوجيز: ٥٢٢/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٣٩٩/٧.
(٥٠) اللباب في علوم الكتاب: ٥٠٨/٩.
(٥١) سورة الأنفال: الآية:٣٤.
(٥٢) جامع البيان:٥١٨/١٣.
(٥٣) المصدر نفسه:٥١١/١٣.
(٥٤) جامع البيان:٥٠٤/١٣ ، ومعالم التنزيل:٢٨٩/٢.

(٥٥) سورة الأنفال: الآية:٣٤.
(٥٦) سورة الشُّعراء: الآية:١٨٧.
(٥٧) سورة الاسراء: الآية:٩٢.
(٥٨) ينظر : البرهان للزكشي:١٩٣/١
(٥٩) سورة الشُّعراء: الآية:١٨٧.
(٦٠) السورة نفسها: الآيات:١٧٦-١٨٤.
(٦١) السورة نفسها: الآيتان:١٨٦:١٨٥.
(٦٢) السورة نفسها: الآية:١٨٧.
(٦٣) التحرير والتنوير:١٨٧/١٩.
(٦٤) الجامع لأحكام القرآن:١٣٦/١٣.
(٦٥) يريد: قوله تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾سورة الشُّعراء: الآية:١٨٩.
(٦٦) التحرير والتنوير:١٨٧/١٩.
(٦٧) التفسير الكبير: ٥٢٨/٢٤.
(٦٨) سورة الاسراء: الآية:٩٢.
(٦٩) السورة نفسها/ الآيات ٩٠-٩٣.
(٧٠) ينظر: جامع البيان:٥٥٦/١٧-٥٥٧.
(٧١) ينظر: التحرير والتنوير:٢٠٧/١٥.
(٧٢) ينظر: جامع البيان:٥٥١/١٧، والتفسير الكبير:٤٠٨/٢١، والجامع لأحكام القرآن:٣٢٨/١٠.
(٧٣) سورة الانشقاق: الآية:١.
(٧٤) سورة الانفطار: الآية:١.
(٧٥) سورة الاسراء: من الآية:٦٨.
(٧٦) السورة نفسها: من الآية:٩٣.
(٧٧) سورة الشُّعراء: من الآية:١٨٨.
(٧٨) معالم التنزيل:٤٧٨/٣.
(٧٩) سورة الشُّعراء: الآية: ١٨٩.
(٨٠) ينظر: جامع البيان:٣٩٣/١٩، وفتح القدير للشوكاني: ١٣٣/٤.
(٨١) الوَمَدُ: شِدَّةُ الْحَرّ. مقاييس اللغة:١٤٦/٦.
(٨٢) جامع البيان:٣٩٤/١٩.
(٨٣) المحرر الوجيز:٤٨٦/٣.
(٨٤) سورة الإسراء: الآيتان:٩٧-٩٨.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١- البرهان في علوم القرآن (أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي) (ت ٧٩٤هـ)، تح: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م.
٢- التحرير والتنوير(محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي) (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ..

٣- تفسير القرآن العظيم(أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م .
٤- تفسير القرآن العظيم(أبو محمد ابن أبي حاتم الرَّازي) (ت ٣٢٧هـ)، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
٥- التفسير الكبير (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرَّازي) (ت ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٦- تفسير مجاهد (أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي) (ت ١٠٤هـ)،تح: د. محمد عبد السلام أبي النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة- مصر، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

٧- تفسير مقاتل بن سليمان(أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخى) (ت ١٥٠هـ)،تح: عبد الله محمود شحاته،ط١، دار إحياء التراث – بيروت، ١٤٢٣ هـ.

٨- التوقيف على مهمَّات التعاريف (محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي) (ت ١٠٣١هـ)،ط١، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن(محمد بن جرير الطبري)(ت ٣١٠هـ)، تح: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ = ٢٠٠١م.
١٠- الجامع لأحكام القرآن(أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي)(ت: ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤ م.
١١- صحيح البخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي)(ت ٢٥٦هـ)، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ .
١٢- صحيح مسلم(أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري) (ت٢٦١ هـ)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة ،١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

١٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير(محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني)(ت: ١٢٥٠هـ)، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت ، ١٤١٤هـ..

١٤- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم(محمد بن علي التهانوي)(ت بعد١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت،ط١، ١٩٩٦م.
١٥- الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل(أبو القاسم محمود بن عمرو جار الله الزمخشري) (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ .
١٦- الكليات معجم في في المصطلحات والفروق اللغوية(أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي) (ت ١٠٩٤هـ)،تح: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت .
١٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي) (ت ٥٤٢هـ)،تح: عبد السلام عبد الشافي محمد،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت،١٤٢٢ هـ.

١٨- مقاييس اللغة(أحمد بن فارس)(ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
١٩- اللباب في علوم الكتاب (أبو حفص عمر بن علي بن عادل)(ت ٧٧٥هـ)،تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض،ط١، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

Sources and References:

The Holy Quran.

1. Al-Zarkashi, B. M. (1957). Al-Burhan fi 'Ulum al-Quran [The evidence in the sciences of the Quran]. Ed. Ibrahim, M. A. I. Aleppo, Syria: Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyya.
2. Al-Tunisi, M. A. (1984). Al-Tahrir wa'l-Tanwir [The clarification and enlightenment]. Tunis, Tunisia: Dar al-Tunisiyya lil-Nashr.
3. Ibn Kathir, A. I. (1999). Tafsir al-Quran al-Azim [Interpretation of the Noble Quran]. Ed. Salama, S. M. (2nd ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Dar Tayyiba.
4. Al-Razi, A. A. (1419 AH). Tafsir al-Quran al-Azim [Interpretation of the Noble Quran]. Ed. Al-Tayyib, A. M. (3rd ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Maktaba Nazar Mustafa al-Baz.
5. Al-Razi, A. F. (1420 AH). Al-Tafsir al-Kabir [The Great Interpretation]. (3rd ed.). Beirut, Lebanon: Dar Ihya al-Turath al-Arabi.
6. Mujahid. (1989). Tafsir Mujahid [Mujahid's Commentary]. Ed. Abi al-Nil, M. A. Cairo, Egypt: Dar al-Fikr al-Islami al-Haditha.
7. Al-Balkhi, M. M. (1423 AH). Tafsir Muqatil ibn Sulayman [Muqatil ibn Sulayman's Commentary]. Ed. Shahatah, A. M. Beirut, Lebanon: Dar Ihya al-Turath.
8. Al-Mannawi, M. A. (1990). Al-Tawqif 'ala Mahamat al-Ta'arif [Stopping at Definitions' Essential Tasks]. Cairo, Egypt: Alam al-Kutub.
9. Ibn Jareer al-Tabari. (2001). Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayat al-Quran [The Comprehensive Explanation of the Interpretation of the Quranic Verses]. Ed. Al-Turki, A. A. (1st ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Dar Hajar.
10. Al-Qurtubi, A. A. (1964). Al-Jami' li Ahkam al-Quran [The Comprehensive Compilation of the Quranic Judgments]. Ed. Al-Barduni, A. & Atfayyish, I. (2nd ed.). Cairo, Egypt: Dar al-Kutub al-Masriyya.

11. Al-Bukhari, M. I. (1422 AH). Sahih Al-Bukhari [The Authentic Compilation of Al-Bukhari]. Ed. Al-Nasir, M. Z. B. N. Riyadh, Saudi Arabia: Dar Touq Al-Najah.
12. Muslim ibn al-Hajjaj. (1955). Sahih Muslim [The Authentic Compilation of Muslim]. Ed. Abdul Baqi, M. F. A. Cairo, Egypt: Isa Al-Babi Al-Halabi and Partners.
13. Al-Shawkani, M. A. (1250 AH). Fath al-Qadir al-Jami' Bayn Fanni al-Riwaya wa al-Diraya min 'Ilm al-Tafsir [The Comprehensive Explanation Bringing Together the Art of Narration and Knowledge of Exegesis]. Beirut, Lebanon: Dar Al-Kalam Al-Tayyib, Ibn Kathir Publishing.
14. Al-Tahanawi, M. A. (1996). Kashaf Istilahat al-Funun wa al-Ulum [Revealer of the Terminologies of Arts and Sciences]. Ed. Al-Ajam, R. & Dahrouj, A. Beirut, Lebanon: Lebanon Publishers.
15. Al-Zamakhshari, M. A. (1407). Al-Kashaf 'an Haqaiq Ghawamid al-Tanzil [The Revealer of the Truths of the Obscurities of Revelation]. (3rd ed.). Beirut, Lebanon: Dar Al-Kitab Al-Arabi.
16. Al-Kafawi, A. A. (1094 AH). Al-Kulliyat Mu'jam fi al-Mustalahat wa al-Furuq al-Lughawiyya [The Generalities: A Lexicon of Terminologies and Linguistic Differences]. Eds. Darwish, A. & Al-Masri, M. Beirut, Lebanon: Dar Al-Risalah.
17. Al-Andalusi, A. M. (1422). Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-Aziz [The Concise Editor in the Interpretation of the Noble Book]. Ed. Abdul Shafi Muhammad, A.
18. Ibn Faris, A. (1979). Muqayyis al-Lughah [The Criteria of Language]. Ed. Haroun, A. M. Cairo, Egypt: Dar Al-Fikr.
19. Al-Adil, A. A. (1998). Al-Lubab fi 'Ulum al-Kitab [The Essence in the Sciences of the Book]. Eds. Abdul Mawjud, A. A. & Muawad, A. M. Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.